السببية في سياق السنن الإلهية

إعداد

أسماء محمد أحمد العسيري

مسار العقيدة والدعوة قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة - جامعة الملك عبد العزيز

المملكة العربية السعودية

مجـــلة

كلية الدراسات الإسلامية للبنين

بأســـــوان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد الثامن

إصدار يونيو ٢٠٢٥م

الترقيم الدولي الموحد للطباعة: ISSN ٢٨١٢-٥٢٦٦

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ISSN ٢٨١٢-٥٢٧٤

موقع المجلة https://fisb.journals.ekb.eg

رئيس مجلس الإدارة والتحرير

أ.د. كامل محمد جاهين إسماعيل

عميد كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د. حسن إبراهيم مصطفى

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير

د. أحمد فكري صديق خليل

أعضاء مجلس الإدارة

أ.د. أحمد الأمير محمد جاهين

د. حمدي محمد ضيف حسين

د. سامي خميس بهنسي سلامة

د. محمد رمضان خليل أحمد

الهيئة الاستشارية

أ.د/ طارق عثمان الرفاعي إبراهيم

أ.د/ بلخير طاهري الإدريسي

أ.د/ أحمد عبد العزيز السيد

أ.د/ مشعل بن محمد العنزي

أ.د/ سلمى محمد صالح الهوساوي

السببية في سياق السنن الإلهية

أسماء محمد أحمد العسيري

مسار العقيدة والدعوة قسم الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية: الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة: جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: smasm-9-9@hotmail.com

ملخص البحث:

هذا البحث يعكس نظرة سننيّة في سياق الأسباب والمسببات؛ إذ تشكل أصلاً من أصول استقاء السنن الإلهيّة، ليس فقط من أجل ما ترمي إليه موضوعاتها من إشارات ودلائل سننيّة، بل من حيث منزلتها الشرعيَّة؛ حيث جاءت في سياق من سيقات التشريع، كما أنّ ارتباط الأسباب بالسنن الإلهيّة، يجسد السنن التي سنّها الله تعالى في الكون والمجتمع. فالأسباب تعكس حكمة الله في خلقه، وتوضح كيفية عمل هذه السنن وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات. وهذا الارتباط بالسنن الإلهيّة يعزز من قيمة الأسباب كأداة لتوضيح الحقائق الكونيّة والاجتماعيّة.

وقد جاءت هذه الدراسة محققةً لعددٍ من الأهداف، أهمّها: المساهمة في إبراز العلاقة المتينة بين السنن الإلهيّة ونظام الأسباب والمسببات، وإعمالِ مقاصد الإيمان؛ من أجل درءِ مشكلاتنا الدينيّة والفكريّة والسلوكيّة، واعتماد الإيمان سبيلًا لحياةٍ سعيدة.

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي في سبر الأحاديث النبويّة، واستنباط المقاصد السننيّة، والربط بينها وبين آثارها على حياة الفرد والمجتمع.

وقد تناولت هذه الدراسة عدداً من السنن الإلهية. أبرزها سنتيّ التدافع والإبتلاء كسننٍ مركزية عامة، وما يندرج تحتهما من سننٍ فرعية.

الكلمات المفتاحية: السببية، السياق، السنن، الإلهية.

Causality in the Context of Divine Laws

Asma Mohammed Ahmed Al-Asiri

Creed and Da‘wah Track – Department of Shari‘ah and Islamic Studies. Faculty of Arts and Humanities – King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: smasm-9-9@hotmail.com

Abstract:

This research presents a *sunnah*-based perspective on the concept of causality, highlighting its role as a foundational principle in deriving divine laws (*sunan ilāhiyyah*). The topic is not only significant for the insights and signals embedded within divine patterns but also for its legal status in Islamic legislation. The connection between causality and divine laws reflects the laws established by Allah in the universe and human society. Causes and effects represent Allah's wisdom in creation and demonstrate how these divine laws function and impact individuals and communities. This link with divine patterns elevates the status of causality as a powerful tool for explaining universal and social truths.

The study aims to:

- Emphasize the strong relationship between divine laws and the system of causes and effects.
- Activate the objectives of faith to address religious, intellectual, and behavioral challenges.
- Promote faith as a path to a happy and meaningful life.

The research follows an inductive methodology**,** analyzing prophetic traditions to extract divine objectives and link them to their outcomes in both individual and societal life. The study examines several divine laws, most notably the laws of **trial** (*ibtilāʾ*) and **conflict** (*tadāfuʿ*), as fundamental frameworks from which various sub-laws emerge.

Keywords: Causality, Context, Divine Laws, Sunnah.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي نبَّه العقول بآثار قدرته؛ لتتوجَّه إليه متدبِّرة، ونصب لها أعلام صنعته؛ لتقبل عليه متفكِّرة، وأجلسها على مِنَصّة الاستدلال؛ لتطالع بدائع صنعه متبصِّرة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمّد الذي صدع بالحق وأَظهره، وعلى آله وأصحابه حماة الدين ونَصَرَته، أمَّا بعد:

فإنَّ خطاب الوحي خطابٌ خاصٌّ ومتميِّز، ليس من حيث مصدره، وقدسيَّته فحسب، وإنّما من حيث تلقِّيه، وتدبُّره أيضًا، ومن ثمَّ كان -وما زال-خطاب دعوةٍ وإصلاحٍ في نظامٍ تشريعيٍّ محكم، يروم التَّأثير، والإقناع، والتَّوجيه، والتَّقويم؛ للدَّفع بالمخاطب إلى تعديل سلوكه وموقفه، أو تغييره، أو بناء اعتقاد لديه من خلال الاقتناع، أو الاستجابة للأحكام التَّشريعيَّة، وضوابطها الَّتي خُوطب بها، ذلك أنَّ مقاصد التَّشريع في الخطاب تتنوَّع بتنوُّع المقامات، وزوايا النَّظر، وباختلاف النَّاظرين، والمتدبِّرين.

كما تستند المنظومة الكونية والتشريعية على مبدأ محوري يتمثل في العلاقة السببيّة المنهجيّة بين الظواهر ونتائجها. ويمثل هذا المبدأ قانوناً شاملاً وضعه الخالق -عَزَّوَجَلَّ- بحكمته في نظام الوجود والتشريع، حيث يعمل كآلية تنظيميّة للكون تتجاوز فكرة العشوائية والمصادفة.

وقد حظي مبدأ السببية باهتمام بالغ من قِبَل العلماء والباحثين على مرِّ العصور، لما يحمله من دلالات عميقة، وارتباط ذلك بمقاصد العقيدة الإسلامية.

لذلك كان من أهميّة هذا البحث ارتباط مبدأ السببية بالسنن الإلهيّة، حيث تجسد هذه الأسباب المبادئ والقوانين التي سنّها الله تعالى في الكون والمجتمع. فتسبيب الأسباب يعكس حكمة الله في خلقه، ويوضح كيفية عمل هذه السنن وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات. وهذا الارتباط بالسنن الإلهيّة يعزز من قيمة الأسباب كأداة لتوضيح الحقائق الكونيّة والاجتماعيّة.

لذلك سنحاول في هذا البحث استعراض هذا التداخل بأسلوب يبرز العلاقة بين

الأسباب والسنن الإلهيّة من خلال بعض النماذج من السنة النبويّة، مع بيان ما تضمنته من سنن إلهيّة، ولبيان ذلك جعلت هذا البحث في أربعة مباحث. تناول الأول: معنى السنن الإلهية لغة وشرعًا، والثاني: معنى الأسباب لغة واصطلاحًا، والثالث: أهميّة دراسة الأسباب في المنظومة السنيّة، والرابع: نماذج تطبيقية للسببية في سياق السنن الإلهية. ثمّ الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات، ثم فهرس بالمصادر والمراجع التي أُعتمدت في كتابة هذا البحث.

المبحث الأول
معنى السنن لغة واصطلاحًا

معنى السنن لغة:

السنن جمع سنة وهي من سنَّ يسنُّ سننًا، وهي الطريقة والسيرة والمثال والعادة، كما جاءت في أقوال علماء اللغة. يقول ابن فارس: "السين والنون أصلٌ واحد مُطّرد، وهو جريَان الشيء واطّراده في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنًّا، إذا أرسلتَه إرسالًا"(١)، "والسُّنة في الأصل سُنة الطريق، وهو طريق سَنَّه أوائل الناس فصار مسلكًا لمَن بعدهم، والسُّنة: الطريقة"(٢)، و"العادة"(٣)، "وسُنة النبيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: طريقتُه التي كان يتحراها"(٤)، و"عادته التي دام عليها وأمرَ بها"(٥)، "وسُنة الله -تعالى-: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته(٦)، "وسَنَّ الله سُنَّة أيْ بيَّن طريقًا قويمًا"(٧)، "لأنَّ سُنة الله القائمة على حكمته سُنة دائمة، لا تتغيّر ولا تتبدّل"(٨).

وقد وردَت كلمة السُّنة صريحة في آياتٍ قرآنية متنوعة، وبأكثر من صيغة، فجاءت تارةً بصيغة "سُنّة"، وتارة بصيغة "سُنّتنا"، وثالثة بصيغة "سُنن"(٩). وقد تناولت كتب التفاسير عدة تعاريف لسُنن الله -عَزَّوَجَلَّ- ولعلي أقف على بعضها:

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦٠/٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢٨٠/٧-٢٨١، ويُنظر: الفيومي، المصباح المنير، ٢٩٢، أبو جيب، سعدي، القاموس الفقهي، ١٨٤.

(٣) الصاحب ابن عباد، المحيط في اللغة، ٢٤٨/٨.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٢٩.

(٥) العسكري، الفروق اللغوية، ٢٢٦.

(٦) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٤٢٩.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ٢٨٠/٧.

(٨) الميداني، البلاغة العربية، ٢٧٧/١.

(٩) وردت بصيغة "سنة" ثلاث عشرة مرة، ووردت بصيغة "سنتنا" مرة واحدة، ووردت بصيغة "سنن" مرتين. يُنظر: محمد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ٣٦٧.

١. جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، أنَّ سنّة الله هي: "نظامه يُجريه في خلقه كما يريد"(١).

٢. وجاء في تفسير الرازي، أنَّ السُّنّة هي: "الطريقة المستقيمة والمثال المتَّبَع"(٢).

وقال القرطبي في سنة الله التي قد خلت من قبل: "يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر أوليائه على أعدائه"(٣).

معنى السنن اصطلاحًا:

تعددَت جهود العلماء في تعريف السُّنن الإلهية، ولعلَّ من أبرزها ما يأتي:

فمن السابقين يقول ابن حزم: "إنَّ الباري -عَزَّوَجَلَّ- خلَق المعلولاتِ على ما هي عليه من الإتقان والثبات باضطراره للعِلل التي وجبَت المعلولات من أجلها"(٤).

وعرّف ابن تيمية السُّنن الإلهية فقال: السُّنة هي: "العادة التي تتضمن أنْ يفعل في الثاني مثل ما فعلَ بنظيره الأول؛ ولهذا أمر -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- بالاعتبار، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف:١١١]. "(٥). وذكَر في موضع آخر أنَّ السُّنة هي: "التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين"(٦).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية إنَّ سنة الله هي: "عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه بإكرام هؤلاء وإعزازهم ونصرتهم وإهانة أولئك وإذلالهم وكبتهم"(٧).

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ٦٠١/١.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢/٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٢٢/١٩.

(٤) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي الرد على الفيلسوف الكندي، ٣٧٤/٤.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٣/١٣.

(٦) ابن تيمية، النبوات، ٨٦٧/٢.

(٧) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٤٠٣.

واختصر ابنُ رجب تعريفَ السُّنة على أنها: "الطريقة الملازمة الدائمة، كقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [سورة الفتح: ٢٣]."[١].

وكذا كان للمعاصرين بعض الاجتهادات، ومنها: ما جاءَ في تعريف السُّنن الإلهية عند زيدان بأنها: "الطريقة المتبَعة في معاملة الله تعالى للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[٢].

وقال في موضع آخر سنة الله: "هي قانونُه العامّ الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر"[٣].

أما السُّنن الإلهية عند رشيد كهوس فهي: "أقدار الله وعهوده الثابتة وعهوده الحقة، وكلماته التامات، التي لا تبديلَ لها ولا تحويلَ يعتريها ولا تغيير يشملها ولا تحابي أحدًا مؤمنًا كان أمْ كافرًا"[٤].

وقال شريف الخطيب: "السُّنة الإلهية: منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون، وعمارته، وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله"[٥].

وبناءً على ما سبق من تعريفات يتبيَّن أنَّ المدلول اللغويَّ لمعنى السُّنة يتوافق ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى القرآني، والاصطلاحي، حيث إنَّ السُّنة في اللغة تعني: الطريقة، والعادة؛ بينما السُّنة في القرآن والاصطلاح تعني: طريقة الله -عَزَّوَجَلَّ- وعادته.

---

(١) ابن رجب، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ٧٦/٦.

(٢) زيدان، عبدالكريم، السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ١٣. مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

(٣) المرجع السابق، ١٥.

(٤) الكهوس رشيد، السُّنن الإلهية في السيرة النبوية، ٥٣.

(٥) الخطيب، شريف الشيخ، السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ٢٧/١.

المبحث الثاني
معنى الأسباب لغة واصطلاحا

أولاً: السبب في اللغة:

هو كل شيء يتوصل به إلى غيره، والجمع: أسباب، وأصله من السبب وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء(١).

قال الزمخشري: السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة أو آلة(٢). وهنا يميّز الزمخشري بين ما كان مايًا من الأسباب كالآلة في الحبل الذي يتوصل به إلى الماء أو معنويًا كالقدرة والعلم،كقوله تعالى: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾} [سورة الكهف: ٨٤]. فقد فُسره البعض بالعلم(٣).

والجمع أسباب، والتسبيب هو إيجاد العلاقة بين السبب والمسبب. والحاصل أن الناظر إلي تعريف السبب عند اللغويين يجد أنه وسيلة من الوسائل التي يتوصل بها إلى المطلوب، من غير أن يكون وسيلة كافية في تحقيق المسبب استقلالاً. مع العلم أن له الأثرَ الجزئيَّ في ظهور المسبب، وليس هو مجردَ اقتران لا أثر له.

ثانيًا: في الاصطلاح عند الأصوليين والفلاسفة.

لا يختلف التعريف الاصطلاحي كثيراً عن اللغوي فقد عرفه الفتوحي وغيره من الأصوليين بأنه: ما يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم لذاته(٤).

وقال الجرجاني: "السبب: عبارة عمّا يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه"(٥).

---

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٩/١، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣٢٩/٢

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، تفسير آية ٤٨ من سورة الكهف

(٣) ذكر الطبري في تفسيره للآية أنَّ السبب: ما يتسبب إليه وهو العلم به وقد فسره بالعلم (ابن عباس، وقتادة، وجريج، والضحاك)، ينظر: الطبري، تفسير جامع البيان، ٣٧١/١٥-٣٧٢

(٤) ينظر: ابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير، ٤٤٥/١

(٥) الجرجاني، التعريفات ١/١٥٤

وقال الغزالي: "حده ما يحصل الشيء عنده إلا به" [١].

ويلاحظ أن تعريفات السبب سواء كان في كتب الكلام، أو الأصول فإنهم يربطون ذلك بمعتقدهم، فنرى الأشاعرة مثلاً يربطونه بعدم تأثير السبب في مسببه وهذا ما يؤكده الزركشي بأنّ السبب ليس مؤثراً في مسبب، حيث قال: إن السبب عبارة عمّا يحصل الحكم عنده لا به أي: لأنه ليس بمؤثر في الوجود؛ بل وسيلة إليه. فالحبل مثلاً يتوصل به إلى إخراج الماء من البئر، وليس المؤثر في الإخراج، وإنما المؤثر حركة المستقي للماء)[٢].

وأما عند الفلاسفة المحدثين، فاختلفت تعريفات السبب بحسب اتجاه الفيلسوف، فقال هوبز[٣]: السبب هو خلاصة كل الحوادث التي تساعد كل منها في إنتاج المسبب المطروح، بل يعرف هوبز الفلسفة كلها بأنها: معرفة النتائج من أسبابها، والأسباب من نتائجها[٤].

وفي (قاموس بولدوين الفلسفي) [٥]ذكر ثلاثة تعاريف:

١- السببية هي الرابطة الضرورية للحوادث في سلسلة زمنية.

٢- فكرة السببية هي كل ما ينشأ في الفكر أو التصور عن عملية تحدث كنتيجة لعملية أخرى.

٣- أن السبب والنتيجة مصطلحان متلازمان، يشير كل منهما إلى شيئين أو جانبين أو مظهرين متميزين للحقيقة. وهما مرتبطان كل منهما بالآخر بحيث إذا توقف الأول عن الوجود يصبح الثاني نافذ المفعول بعده في التو واللحظة، وإذا سرى مفعول

---

(١) الغزالي أبو حامد، المستصفى ١/٧٥

(٢) ينظر: الزركشي بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، ٢٤٥/١. وينظر: في الوجود، رفيق العجم، موسوعة مصطلحات ابن تيمية، ٥٢٧ وما بعدها.

(٣) هوبز توماس (١٥٨٨ -١٦٧٩م) إنجليزي وهو أبو الفلسفة التحليلية. انظر: الحفني عبدالحميد، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ١٤٨١/٢.

(٤) ينظر: هوبز، اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ٢٣ -٢٤

(٥)قاموس الفلسفة وعلم النفس للفيلسوف الأمريكي جيمس مارك بلدوين، (١٨٦١ -١٩٣٤

الثاني توقف الأول عن الوجود في التو واللحظة[١].

أما ديكارت فاعتبر السببية مبدأ فطرياً وعلاقة ضرورية، يقول ديكارت: «إنَّ فكرة السببية فكرة فطرها الله في نفوسنا، فمن المستحيل أن تكون خاطئة؛ أي أنَّ فطريتها دليل على صدقها»[٢].

ويقول جاسم حسن العلوي عن المفهوم العقلي للسببية: السببية العقلية تعبر عن الضرورة بين مفهومين؛ أنَّ السبب الذي يقود إلى نتيجة ما في ظل شروط معينة يظل يعطي النتيجة نفسها في ظل الشروط نفسها في أي زمان ومكان. كما أنَّ أي فرد تنطبق عليه مواصفات ذلك السبب يعطي النتيجة ذاتها إذا توفرت الشروط ذاتها[٣]. وكان أول من اهتم بالعلية أرسطو في تفسيره للحركة في الكون، وصنفها في أربعة علل هي: العلة الصورية، والفاعلة، والغائية، والمادية[٤].

ومن خلال هذه التعريفات نستطيع تقسيم مذاهب الناس في الأسباب إلى عدة أقسام؛ ولعل هذا الاختلاف يعود إلى الخلل في فهم العلاقة بين الأسباب والمسببات وموقعها في منظومة السنن الإلهية؛ ممّا أدى إلى اختلالات فكرية متعددة. فنجد توجهات فكرية تميل إلى الجبرية وتعطل الفاعلية البشرية بدعوى الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا فهم خاطئ للقدر، إذ أن الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب، وعلى النقيض نجد المذهب العلماني الفاصل بين السنن الكونية والسنن الشرعية، فيتعامل مع الأولى باعتبارها قوانين موضوعية، ومع الثانية باعتبارها قيماً ذاتية. وهذا الفصل

---

(١) ينظر: السيد نفادي، السببية في العلم، ٢٥، وقد نقله المؤلف عن مرجع أجنبي عن القاموس: Russell، B.، «On the Notion of cause In Mysticism and logic. George Allen Unwin LTD. London، 1963. PP. 132، 33.

(٢) ينظر: محمود قاسم، المنطق الحديث، ٦٣في الحاشية. وديكارت مقدمة قصيرة جدًا، توم سوريل، ترجمة: محمد أحمد الروبي، ٨٤. نقلًا عن: أعمال ديكارت، من تحرير تشارلز آدم وأنتوني تانري، ٧/٤٠-٤١.

(٣) ينظر: جاسم علوي، العالم بين العلم والفلسفة، ١٨١.

(٤) ينظر: الحنفي عبدالمنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ١/١٢٥.

يتناقض مع وحدة المصدر للسنن الكونية والشرعية، وهو الله تعالى، كما ظهرت التوجهات المادية التي تغفل البعد الغيبي في نظام السببية، فتقصر التفسير على الأسباب المادية فقط، وتنكر تأثير العوامل الغيبية كالدعاء والتوكل على الله. وهذا يتناقض مع النظرة الإسلامية الشاملة التي تجمع بين الأسباب المادية والغيبية.

وقد بيّن ابن القيم هذا التقسيم بقوله: فالناس في الأسباب لهم ثلاث طرق:

١. إبطالها بالكلية.

٢. وإثباتها على وجه لا يتغير ولا يقبل سلب سببيتها ولا معارضتها بمثلها أو أقوى منها كما يقوله الطبائعية والمنجمون والدهرية.

٣. ما جاءت به الرسل ودل عليه الحس والعقل والفطرة: إثباتها أسبابًا، وجواز وقوع سلب سببيتها عنها إذا شاء اللَّه ودفعها بأمور أخرى نظيرها أو أقوى منها، مع بقاء مقتضى السببية فيها، كما تُصرف كثير من أسباب الشر بالتوكل والدعاء والصدقة والذكر والاستغفار والعتق والصّلة، وتُصرف كثير من أسباب الخير بعد انعقادها بضد ذلك[١].

(١) ينظر: ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤/٦٥.

المبحث الثالث

أهمية دراسة الأسباب في المنظومة السننيّة

إنّ هذا النظام السببي يتوافق بصورة متناغمة مع المنطق العقلي والفطرة الإنسانية والأطر التشريعية، وقد شكّل تجاهل العلاقة السببية عاملاً رئيساً في تراجع المجتمعات الإسلاميّة حضارياً عبر قرون متعاقبة، وقد تجلى هذا التجاهل في محاولة تحصيل النتائج دون استكمال مقدماتها الضرورية، والسعي لتحقيق الغايات مع إغفال الوسائل المؤدية إليها، ممّا أدى إلى حالة من الركود التنموي والحضاري.

وتتجلى أهميّة هذا المبدأ في السيرة النبويّة، حيث قدم النبي محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نموذجاً تطبيقياً للتعامل الواقعي مع السنن الإلهية. فعلى الرغم من مكانته النبوية والتأييد الإلهي، فقد التزم بمنهجية علمية في التخطيط والتنفيذ لمختلف المهام والمسؤوليات.

ويمكن تحليل المرحلة التأسيسية للدعوة الإسلامية كنموذج لتطبيق مبدأ السببية، حيث سعى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى تأسيس قاعدة اجتماعية داعمة من خلال التواصل المنهجي مع القبائل العربية وحجاج بيت الله الحرام.

وفي سياق إدارة المرحلة المكية، يمثل الأمر بضبط النفس تجاه المواجهات مع المعارضين استراتيجية منهجية لبناء القدرات وتأسيس قاعدة صلبة، مما يؤكد التكامل بين البعدين الروحي والمادي في الرسالة الإسلامية.

ويمكن اعتبار الهجرة إلى الحبشة نموذجاً تطبيقياً آخر للتعامل المنهجي مع السنن الإلهية، حيث مثلت استراتيجية للحفاظ على النواة الأولى للمجتمع المسلم في ظل الظروف غير المواتية.

وتقدم هجرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى المدينة المنورة دراسة حالة متكاملة لتطبيق مبدأ السببية، حيث اشتملت على تخطيط دقيق وإجراءات عمليّة، من التمويه والإخفاء إلى اختيار المرافقين والمرشدين، وتحديد المسارات الآمنة. وتؤكد هذه المنهجيّة أهمية الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية في إطار النظام الكوني المتكامل.

وفي بيان أهميّة الأسباب يقول ابن القيم: فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطًا بالأسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه؛ بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالأسباب محل الشرع والقدر والقرآن مملوء من إثبات الأسباب كقوله: {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾} [سورة المائدة:١٠٥]. { بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة الأعراف:٣٩]. {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴿١٠﴾} [سورة الحج:١٠].. { فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [سورة الشورى:٣٠]. كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾} [سورة الحاقة:٢٤].[1] إلى غير ذلك من المواضع في القرآن الكريم حيث بلغت عشرة آلاف موضعًا.

(١) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ١٨٨

المبحث الرابع

نماذج تطبيقية للسببية في سياق السنن الإلهية

ولعلنا نستعرض فيما يأتي نماذج من الأحاديث النبويّة التي تؤصل للسنن الإلهية في الأسباب والمسببات في مختلف مجالات الحياة، مع بيان الآثار المترتبة على فهم هذه السنن وتطبيقها في واقع الأفراد والمجتمعات المسلمة.

الحديث الأول:

حديث عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا" (١).

من خلال هذا الحديث النبويّ يمكننا التركيز أولاً على عدة نقاط مهمة لفهم سنّة الأسباب:

أولاً: مفهوم التوكل الحقيقي: فالتوكل من: "وَكَل بِاللَّه وتوكَّل عَلَيْهِ، واتَّكَل: استسلم إِلَيْهِ"(٢). والمتوكل على الله: الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره. يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به(٣).

ونجد هذا الحديث يبرز التوازن بين الجهد البشري والثقة بالله تعالى. وذلك أنَّ التوكل معنىً قلبي، وهو لا يعني الاستغناء عن العمل أو الجهد، بل يتطلب الاعتماد القلبي على الله مقرونًا بالسعي والعمل. يقول أبو حامد الغزالي: "قد يُظنّ أنّ معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض، كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال؛ فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في التوكل على الله، ٤/٣٧٠ح٢٤٩٧، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، ٢/١٣٩٤ ح٤١٦٤

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٧/١٤٣

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب،١١/٧٣٤

على المتوكلين... وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه أي بعمله إلى مقاصده"[١].

ثانيًا: الغدو والرواح: تشير الغدو وهو" سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، ونَقِيضه الرَّواح" [٢] إلى حركة الطير وبحثها عن الطعام، ممّا يوضح أهميّة السعي والاجتهاد والحركة الدؤوبة في طلب الرزق وفق سنّة الأسباب. وأن سنّة السعي مقرونة بحصول المطلوب بعد توفيق الله وإرادته. يقول ابن تيمية في بيان ضرورة بذل الأسباب: "وأما من ظن أن التوكل يغني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال وهذا كمن ظن أنه يتوكل على ما قدر عليه من السعادة والشقاوة بدون أن يفعل ما أمره الله"[٣].

ثالثًا: الاعتماد مع بذل السبب على سنّة الله في الرزق: فالطير لا تملك موارد مضمونة، لكنها تعتمد على السعي المستمر، ممّا يرمز إلى قدرة الله على رزق المخلوقات عندما تتبع سننه الطبيعيّة، أي باتخاذ الأسباب المتاحة فالتشبيه في الحديث "في أصل الرزق، لا في قدره، ولا في كيفيته"[٤]. وقد أشار إلى هذا المعنى البيهقي في شعب الإيمان بقوله: "ليس في هذا الحديث دلالة على القُعود عن الكسْبِ، بل فيه ما يدُل على طلب الرزق؛ لأنَّ الطير إذَا غدت فإنما تغْدُوا لطلب الرزق، وإنما أراد -والله أعلم-لو توكلوا على الله في ذهابهم، ومجيئهم وتصرُّفهم، ورأوا أنَّ الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلَاّ سالمين غانمين كالطير تغدُوا خِمَاصًا وترُوحُ بطَانًا، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم، ويغشون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل"[٥].

فمن خلال تأمل هذه النقاط السابقة نجد أن الحديث الشريف يحثنا على الإيمان بالله والتوكل عليه مقترنًا بالعمل الجاد، موضحًا أن التوكل الصحيح يعني

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢٦٥/٤

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٤٦/٣

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٢٨/٨

(٤) محمد بن علي الأثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، ١٣٨/١٥.

(٥) البيهقي، شعب الإيمان، ٤٠٥/٢

استخدام الوسائل المتاحة مع عدم ركون القلب إليها، بل الإيمان بأنَّ النتائج بيد الله تعالى. حيث يؤسس لفهمٍ متوازنٍ للعلاقة بين الجهد البشري والتوفيق الإلهي، وذلك باستخدام مثال واقعي -في طلب الرزق-يمكن ملاحظته من الطبيعة (الطيور) لتوضيح مفهوم عقائدي عظيم، وفي ذلك يقول ابن رجب: "هذا الحديثُ أصل في التوكُّل، وأنَّه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزقُ، قال الله: {... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣} [سورة الطلاق:٢-٣]، وقد قرأ النَّبيُّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- هذه الآية على أبي ذرٍّ، وقال له: «لو أنَّ الناسَ كُلَّهم أخَذوا بها لَكَفتهم»[(١)] يعني: لو أنهم حقَّقوا التَّقوى والتوكل؛ لاكتَفَوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم"[(٢)].

فهذا الحديث يمثل سنة الأسباب والمسببات في باب طلب الرزق، وقد جاءت السنّة النبويّة المطهرة لترسي قواعد منهجيّة متكاملة في فهم العلاقات السببية وتطبيقاتها في مختلف مجالات الحياة، وتتجلى عظمة المنهج النبويّ في تأصيل مفهوم السببيّة من خلال تعامله الشمولي مع هذه السنن الكونيّة. فالنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لم يكتفِ بتقرير مبدأ السببية نظرياً، بل قدم نموذجاً عملياً متكاملاً في التعامل مع الأسباب والمسببات. وقد تجلى ذلك في مواقف عديدة، منها هذا الحديث، ومنها موقفه من الأعرابي الذي ترك ناقته دون عقال متوكلاً على الله، فقال له: "اعقلها وتوكل"[(٣)]، مؤسساً بذلك لقاعدة عمليّة في التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، فبينما تناولت هذه الأحاديث الأسباب الظاهرة من خلال حثها على العمل والاجتهاد، سلطت الضوء أيضًا على الأسباب الغيبية كالدعاء والتوكل. وهذا التكامل يعكس شموليّة الإسلام في توجيه الإنسان نحو الفلاح في الدنيا والآخرة؛ من خلال تسخير الأسباب التي أودعها الله هذا الكون، فحينما نتأمل في تعبير "تغدو خماصاً وتروح بطاناً"، نجد أنه يرسم مشهداً

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري، ٤٣٦/٣٥، ح٢١٥٥١

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٩١٥

(٣) صحيح ابن حبان، ٣٢٤/٥، ح ٤٤٧٥

متكاملاً يعكس حركة الكون وفق السنن الإلهيّة. فالطير تخرج في الصباح الباكر بأجساد خفيفة، جائعة، مدفوعة بغريزة البحث عن الرزق التي أودعها الله فيها. هذه الحركة ليست عشوائيّة، بل هي جزء من النظام الكونيّ المحكم الذي وضعه الخالق، ويتجلى الارتباط العقائدي في هذا الحديث مع سنة الأسباب والمسببات على أمرين:

الأول: التوكل على الله مع الإيمان بالقدر حيث يجمع الحديث بين الإيمان بالقدر مقروناً بالسعي فالرزق مقدر مكتوب، لكن الوصول إليه مرتبط بالحركة والعمل، لذا يجب على العبد أن يأخذ بالأسباب، ويتوكل على الله، ويعتقد اعتقادًا جازمًا أنّ ذلك كله مربوط بمشيئة الله تعالى، كما قال ابن حجر: " مدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته "[١] فالتوكل الحقيقي لا يتعارض مع السعي، بل يتكامل معه، ويرسخ الإيمان بسنّة الأسباب، وبأنّ الله جعل لكل شيء سبباً، فالإيمان بالقدر يجعل قلب المؤمن راضياً بما كتبه الله له من نتائج فهو بذل الأسباب المادية، وعلق قلبه بالله؛ فدفع بذلك عن قلبه الوسوسة بالتقصير، لأنَّ " وساوس النفس وحديثها لا يدفع إلاّ بمراعاة الأسباب، وقد قال إبراهيم ' { وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ } [سورة البقرة: ٢٦٠]"[٢]. فهو بذلك يدفع عن نفسه الوسوسة، "ومتى وسوست النفس شغلت القلب عن وظائفه، فإذا سكنت وسوستها بشيء من الأسباب تشاغلت به عن إيذاء القلب المتوكل، الناظر إلى المسبب"[٣]. فهذا هو مصداق الإيمان بقضاء الله وقدره، مع بذل الأسباب المستطاعة، شريطة عدم ركون القلب إليها، بل إن ثمرة هذا التوكل على هذه الحالة هو الرضا بالمكتوب كما يقول ابن القيم: "فإذا وضع قدمه في هذه الدرجة. انتقل منها إلى درجة الرضا. وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنّما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنّه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله"[٤]. وفي هذا المعنى يقول

(١) ابن حجر، فتح الباري، (١٠/١٣٥)
(٢) ابن حجر، فتح الباري، (٦/٨٢).
(٣) ابن الجوزي، كشف المشكل، (٤/٣٥٥)
(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/١٢٢)

الرازي: "التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها" (١).

ومثال ذلك يعقوب ' حين ضربَ لنا المثل في كيفية الأخذ بالأسباب في نطاق التوكل على الله، في قوله: { لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ } وهذا تدبير وتشبّث بالأسباب العادية التي لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى، ولكنه استدرك ذلك مبيناً لهم أنَّ الأخذ بالأسباب هنا ليس هو مدافعةً للقدر، بل هو استعانة بالله تعالى، وهربٌ منه إليه (٢)، فقال: {وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧} [سورة يوسف:٦٧]. أي: لا يكون ما أمرتكم به مغنياً غناء مبتدئاً من عند الله، بل هو الأدب والوقوف عند ما أمر الله، فإن صادف ما قدره فقد حصلت فائدتان، وإن خالف ما قدّره حصلت فائدة امتثال أوامره، واقتناع النفس بعدم التفريط (٣).

وقد أراد يعقوب -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- بهذا أن يعلّم أبناءه الاعتماد على توفيق الله ولطفه مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة، تأدباً مع واضع الأسباب، ومقدّر الألطاف في رعاية الحالين، لأنّا لا نستطيع أن نطلع على مراد الله في الأعمال، وهذا سرُّ مسألة القدر كما أشار إليها قول النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (٤).

الثاني: فهم سنن الكون حيث جعل الله الكون يسير وفق نظام محكم من الأسباب والمسببات، والرزق سنة من هذه السنن، وهذا الحديث (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله) يبين أنَّ فهم هذه السنن والتعامل معها بحكمة جزءٌ من الإيمان، إذ أنَّ قضية الرزق من القضايا التي خصّ الله بها ذاته فهو القوي المتين، والرزق لا يقتصر على الناحية المادية فقط، بل يشمل الناحية المعنوية أيضًا كالإيمان، والعلم، والصحة

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٤١٠/٩
(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (١٩/١٣)
(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٢/١٣)
(٤) ابن حجر، فتح الباري، (٧٠٩/٨)

وراحة البال، وغيرها. بل رزق العبد مكفول ومضمون له لا يجلبه بذكائه ولا بحرصه، والله قادرٌ على أن يسوق الرزق لعباده سوقًا دون تعب منهم، ولا بذل، ولا مشقة، وقد ذكر الله ذلك في مواضع كثيرة من الآيات القرآنية، ولكن اقتضت حكمته ومشيئته أن يربط الأسباب بمسبباتها، كما اقتضت حكمته في الكون إقامة سنة الابتلاء والاختبار للعبد، قال ابن العربي: إنّ الرزق وإن كان مقسومًا، وأمر الله وقسمته له نافذًا، لكّنه علقه بالأسباب لحكمة، وهي أنْ تُعْلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب(١). وقال المناوي: جمع بين السبب والمسبب لئلا يتكل من تلبّسَ بأهل التوكل وليس منهم فيهلك بتأخر الرزق، فربما أوقعه في الكفر، ولئلا ينسب الرزق لسعيه فيقع في الشرك، فربط بين السبب والمسبب ليستكمل العبد حالة الصلاح بالأخذ بالأسباب، والاعتماد على الله تعالى(٢).

ومن جهة أخرى، لو خلق الله تعالى الأرزاق دفعة واحدة دون ربطها بالأسباب، لتنافى ذلك مع سنته في الابتلاء(٣). ويندرج تحت سنة الابتلاء في الرزق سنة الافتقار إلى الله تعالى فكلما تعب الإنسان في السعي لجلب رزقه شعر بذله، وحاجته، وافتقاره إلى الله تعالى؛ لأن الرزق بيده وحده، ولهذا قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧} [سورة العنكبوت:١٧] فالعمل عبادة والعبادة تذّلل وخضوع لله (٤).

كما يندرج تحت هذه السنّة سنن التكامل، والتعاون، والتسخير قال تعالى: {أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢} [سورة الزخرف:٣٢]. إذ أنّ الله " قدر لهم الرزق بأسباب لحكمة بالغة، وهي أن كل أحد لا

(١) ينظر: ابن العربي، أحكام القرآن، (٢، ٤٧١).
(٢) ينظر: المناوي، فيض القدير، (١، ١٦٣).
(٣) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، (١٠٢/٢).
(٤) ينظر: أسماء حمودة، سنة الله في تقدير الأرزاق، ٢١٠

يتمكن من تعلم ما يحتاج إليه في عمره، فلو اشتغل بذلك، فني عمره قبل أن يتعلم، وما استطاع تحقيق مصالح معيشته، لذلك يسَّر الله تعالى لكل واحد من البشر تعلم نوع من ذلك، حتى يتوصل إلى ما يحتاج إليه، ويستفيد من غيره، ويستفيد غيره منه، فيتم التعاون والتكافل بين الناس"[١].

وكذلك مقرونٌ بالسعي في الرزق سنن إعمار الأرض، والسعي في مناكبها وما ينطوي تحت ذلك من المصالح الدنيويّة وتحصيلها، والمصالح الأخروية من التأمل، والاعتبار من عاقبة الأمم السابقة وقد دعى الله عباده إلى هذا السعيّ والاعتبار والإعمار.

وبالتأمل في هذا الحديث ومقاصده السنيّة نجد أنّه يقدم نموذجاً لمقام الأسباب والمسببات في منظومة السنن الإلهية، وما يورث فهم ذلك، والعمل به من بناء شخصيّة متوازنة، تجمع بين الإيمان والعمل، وصدق التوكل على الله مع تمام الرضا بالقدر خيره وشره [٢]، فهذا الحديث النبوي كمثال لسنة بذل الأسباب وأثرها في جلب الخير ودفع الضر، وهو لاشك خاص في سياقه بالرزق ولكن عموم معناه يتجاوزه لما هو أبعد من طلب الرزق ليكون كقاعدة عامة في باب الأسباب والمسببات، وعلاقة كل منهما بالسنن الكونيّة التي أودعها الله هذا الكون، فعلى سبيل المثال: سنة النصر ودفع العدو نجدها تحتاج أسبابًا مادية في الإعداد والعدة، مقترنة بالأسباب المعنويّة القلبيّة، بل إنّ الإيمان القلبيّ له أثره في الثباتِ والظفر حتى مع قلة العدد، كما أن الأسباب القلبية الإيمانيّة فيها حماية لقلب المؤمن من الغرور والكبر في حال النصر، أو الضعف والقنوط في حال الهزيمة، وشواهد الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة، وكذلك السير

(١) السرسخي، الكسب بشرح السرسخي، ٧٥/١

(٢) ولا نغفل الإشارة إلى أنَّ هناك من ضل في هذا الباب – التوكل وإتيان الأسباب-من فرق الإسلام قديماً وحديثاً ولا يتسع المقام لتفنيد هذه الشبهات أو الردّ عليها، ولخروجها عمّا أصبو إلى بيانه في هذا المبحث، خاصة وأنَّ هذه المسائل قد تولى علماء السنة † قديماً الردّ عليها وبيانها، كما تناولت الدراسات الأكاديمية حديثاً هذه المسائل بالجمع والنقد والبيان وممّا اطلعت عليه رسالة جيدة بعنوان: "التوكل على الله وعلاقته بالأخذ بالأسباب، وموقف الطوائف الإسلامية من ذلك، للباحثة: منيرة محمد المطلق، وهي رسالة ماجستير بكلية التربية للبنات بالرياض، ١٤١٤هـ..

والأخبار تدل صراحة على هذه المعاني.

حيث جمع النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بين الأخذ بالأسباب والدعاء في كل أموره. وفي غزوة بدر، رغم قلة عدد المسلمين وعتادهم، إلا أنه أعدهم عسكريًا وأمنيًا ثم توجه لله بالدعاء، معتمدًا على التوازن بين الجهد البشري والنصرة الإلهية. ذكر صاحب تفسير المنار: إنَّ الله -عَزَّوَجَلَّ- نصر المؤمنين يوم بدر، وهم أذلة لا منعة لهم، إذ كانوا قليلي العدد والعدة، حيث أخذوا بأسباب النصر المعنوية والمادية فاتقوا الله -عَزَّوَجَلَّ- وتوكلوا عليه حق التوكل، فلم يعتمدوا على حولِهم وقوتهم، ولا على أعوانهم ولا أنصارهم، وإنما يبذلون حولهم وقوتهم، ويأخذون أهبتهم وعدتهم، إقامةً لسُنن الله -عَزَّوَجَلَّ- في خلقه إذ جعل الأسباب مفضية إلى المسببات، وهو الفاعل المسخّر للسبب والمسبب والموفق بينهما فينصر الفئة القليلة على الكثيرة إنْ شاء الله كما نصر المؤمنين يوم بدر(١).

وإذا كنّا قد تناولنا في الحديث الأول الأسباب والمسببات في سياق أثرها في جلب المنافع، فإن للأسباب والمسببات وجه آخر؛ حيث إنها قد تكون سببًا للهلاك، أو العذاب، أو الخسران، أو الهزيمة والضعف،.... الخ من النتائج السلبيّة وذلك إذا باشر العباد الأسباب التي اقتضت حكمة الله وسنته الكونيّة والشرعيّة أنَّ نتائجها ستكون شراً ووبالًا، وقد يكون سبب ذلك إهمال الأسباب، أو عدم القيام بها على الوجه الذي أمر به الله، أو ركون القلوب إلى الأسباب المادية، وإهمال الأسباب الإيمانية القلبيّة، وهو ما أشرنا إليه في عنوان هذا المبحث بالقول: (وما يترتب على أفعال الأفراد والجماعات من نتائج)

وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال، ترتيب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب.

وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع. فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والأمري الشرعي على الوصف المناسب له، كقوله تعالى: {فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ

(١) يُنظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٠٩/٤.

كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾} [سورة الأعراف:١٦٦]. وقوله: {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾} [سورة الزخرف:٥٥]. وقوله: {وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾} [سورة المائدة:٣٨]. وقوله: {إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ} إلى قوله: {أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾} [سورة الأحزاب:٣٥]. وهذا كثير جدًا.»[(١)] وسيأتي بيان ذلك في الحديث الآتي:

الحديث الثاني:

عن حذيفة بن اليمان، عن النَّبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قَالَ: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[(٢)].

يشير هذا الحديث إلى حقيقة حتمية وهي أنّ المجتمع قد يعاقب بأكمله؛ نتيجة سلبية أفراده، وصمتهم عن المنكرات، وتمثل هذه السنّة جوهر ما يشير إليه الحديث، وإنّ المتأمل في التاريخ البشري يجد أمثلة متعددة على هذه السنّة، كما في قصص الأمم السابقة، ومن أمثلة هذه السنة في الواقع التاريخي ما أصاب بني إسرائيل من عقوبات جماعية بسبب سكوتهم عن المنكرات، كما قال تعالى: {لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾} [سورة المائدة:٧٨].

وفي هذه الآية إشارة إلى المسؤولية المجتمعية في القيام على حدود الله والأخذ على يد العصاة؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسنن الإلهية، فإن الله سبحانه اقتضت حكمته البالغة أن ربط مصالح العباد بعضهم ببعض، فلم يجعل الصالح في معزل عن الطالح في المصير عند ظهور الفساد وعدم الإنكار، بل يصيبهم

---

(١) ابن القيم، الداء والدواء، ٣١

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه (٤٣٣٩) وابن ماجه (٤٠٠٩) من حديث أبي بكر الصديق ¢، وصححه جمع من المحدثين منهم الألباني في صحيح الجامع (٥٤٢٤).

جميعاً ما يصيبهم من أثر التقصير في الواجب الشرعي. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، يقول الشوكاني في تفسيرها: اتقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح، ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم... ويمكن أن يقال: إن الذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة بأسباب، كترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فتكون الإصابة المتعدية للظالم إلى غيره مختصة بمن ترك ما يجب عليه عند ظهور الظلم(١).

فهذا الحديث يدل على سنة ربانية ماضية في عباده، وهي أنّ أيّ مجتمع يشيع فيه المنكر، مع السكوت عليه، يصبح عرضة للفتن وأنواع البلاء والمصائب، تصيب ذلك المجتمع كله. أما المقيمون على المنكر فيه، فلارتكابهم المنكر وعدم إقلاعهم عنه. وأما البقية ممّن لم يشتركوا معهم في ارتكابهم؛ فلسكوتهم على المنكر الذي يرونه أو يعلمونه (٢).

فالسكوت عن المعاصي مع فشوها والإعلان بها من موجبات العقاب والهلاك، لأن السكوت عليها يُغري أصحابها بالتمادي فيها واستفحال أمرها وانتشارها بكثرة. وذلك قد يُعدي إلى كل طبقات المجتمع الإسلامي فيصبح الناس كلهم منحلين من الأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية السامية ولذلك؛ فإن الأخذ على أيدي المجرمين والظالمين والمفسدين والإنكار عليهم من أسباب النجاة والصلاح وانتشار الفضيلة والأخلاق الكريمة، وإهمال ذلك والإعراض عنه يوجب العذاب ويسد في وجوه المسلمين عدم استجابة دعواتهم وهذا من أكبر المصائب(٣).

وبهذا يعلم أن الفتنة قد تكون عقابا من الله تعالى في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم، فإن من سنتها أن لا تخص المجرمين إذا كان الغالب على الناس هو الفساد، لأنها عقوبات تحصل بحوادث كونية يستتب في نظام العالم الذي سنه الله تعالى في خلق هذا العالم أن يوزع على الأشخاص، كما ورد في

(١) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، (٢/٣٤٢-٣٤٣)

(٢) ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عباده، ١١١

(٣) عبدالله التليدي، أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين، ٧٨-٧٩

حديث النهي عن المنكر في الصحيح: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (١).

وممّا يدل عليه الحديث من السنن سنّة التدافع الاجتماعي وحماية المجتمع، فهذه السنّة تبيّن أن الله تعالى جعل صلاح المجتمعات في تدافع الخير والشر، فـ" التدافع والصراع سنّة من سنن الحياة الاجتماعية وأمر لازم لنمو الحياة وامتدادها وتدفقها، واستمرار التاريخ وابتلاءات لا بد منها ليتميز الحق من الباطل، ويختبر وجه الإنسان وصبره واختياره... فالتدافع دليل الحياة والسبيل إلى ظهور الحق وانتصاره وتميّزه، وإلا لتساوى الحق مع الباطل والتبست الأمور، ولما تفاضل الناس"(٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممّا يُدفع به الشر سواء شر انتشار الفساد، أو شر عموم العقاب بترك واجب الأمر والنهي، فهو صمام الأمان للمجتمعات البشرية، " وقد قدر الله أن تكون المسؤولية في الحياة الدنيا في تطبيق أحكام دينه وشرائعه التي كلّف بها العباد جماعية"(٣)، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] فهذه الآية تؤسس لسنة إلهية عظيمة، وهي أن الله تعالى يحفظ نظام العالم بما جعل فيه من تدافع القوى الصالحة مع القوى الفاسدة، "فلولا قيام أهل الحق بواجب الدفع لانفرد أهل الباطل بالتصرف في الأرض، وهذا هو معنى قوله: لفسدت الأرض"(٤).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٧/٩، أخرجه البخاري (٢٤٩٣)، والترمذي (٢١٧٣) واللفظ له، وأحمد (١٨٣٦١)

(٢) عمر عبيد حسنة، حتى لا تكون فتنة، ٣٤

(٣) محمد أمحزون، السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، ٤٩٢/١

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٠٣/٢

وقد جعل الله سبحانه قوام هذا الوجود على التدافع، فالخير والشر في صراع دائم، والغلبة لمن كان أكثر عدداً وعدة، وإذا لم يدفع الناس بعضهم بعضاً لفسدت الأرض وعمت الفتنة؛ لذلك فـ"إن صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس" [(١)]، وقد جعل الشارع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركناً من أركان حفظ المجتمع، وحصناً منيعاً من حصون الأمة، فإذا تخلى الناس عنه استحقوا العقوبة الإلهية بسنّة التدافع، والتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد على هذه السنّة، ففي عهد الخلفاء الراشدين، كان الناس يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصلحت أحوالهم وانتشر العدل، ولما تراجع هذا الواجب في العصور المتأخرة، حلت الفتن والاضطرابات، وهذا يؤكد حقيقة السنّة الإلهية في التدافع، كما يؤكد سنّة الأسباب وترتب النتائج على الأفعال.

ومن الأحاديث النبويّة الدالة على هذا المعنى أيضًا:

قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب» قال أبو داود: ورواه كما قال خالد أبو أسامة: وجماعة، وقال شعبة فيه: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله» وفي رواية: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا»[(٢)].

فنجد هذا الحديث يلفت الانتباه إلى سنّة إلهيّة دقيقة، وهي أن العذاب يأتي "مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا"، أي أن الله تعالى قد يؤخر العقوبة ثم ينزلها في حياة المقصرين، وهذا من باب الاستدراج فالحديث يشير إلى سنة الاستدراج قبل العقوبة العامة.

فمن سنن الله تعالى العظيمة الاستدراج[(٣)] بالنعم مع الإصرار على المعاصي، فهو

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٠٦/٢٨

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث ٤٢٩١، ص ٨١٧

(٣) والاستدراج هو أن يُمهل الله العبد ويفتح له أبواب النعم رغم انغماسه في المعاصي، حتى يُدركه =

أخذ العبد شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعر، فكلما جدد خطيئة جدد له نعمة، وأنساه الاستغفار، حتى يأخذه بغتة، وهو من أعظم السنن الإلهية التي تظهر عدل الله تعالى وحكمته؛ فإن إمهال المسيء فرصة للتوبة، فإن لم يتب كانت العقوبة أبلغ، وقد يغتر الإنسان بتوالي النعم فلا يدرك أمنعم أم مفتون يقول ابن القيم: «وأمّا تمييزه النّعمة من الفتنة، ليفرّق بين النّعمة التي يراد بها الإحسانُ واللُّطف، ويُعانُ بها على تحصيل سعادته الأبديّة، وبين النِّعمة التي يراد بها الاستدراجُ. فكم من مستدرَجٍ بالنّعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهَّال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستْره عليه"[(١)].

ومن أدلة هذه السنّة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، نَدَعهم يتمادَون رغم أوزارهم بأن لا نأخذهم بها أولا بأول. وبأن نُمِدّهم بالنعم رغم ذنوبهم حتى يُطوَوْا في شرّ عاقبة[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومن ناحية أخرى نجد في الحديث ربطاً لمسؤولية الإنكار بالقدرة والاستطاعة، وهذا من دقائق الحديث النبوي فقوله: "يقدرون على أن يغيروا " يشير إلى سنّة إلهيّة كونيّة وشرعيّة، وهي أن التكليف منوط بالقدرة، وأن المسؤولية تكون على قدر الاستطاعة.

حيث جعل الله سبحانه مناط التكليف هو القدرة، فمن كان قادرًا كان مكلفًا بقدر استطاعته، ومن لم يكن قادراً سقط عنه التكليف، وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده فإن قاعدة التكليف بما يطاق من أعظم قواعد الشريعة، وهي تعكس سنّة إلهيّة في معاملة العباد، فالله تعالى لا يحاسب الضعفاء على ما يحاسب عليه

العقاب. والاستدراج كما عرفه الجرجاني بقوله: " الدنوّ إلى عذاب الله بالإمهال قليلًا قليلًا. الجرجاني، التعريفات، ٢٠.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ٢٦٣/١

(٢) ينظر: محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٦٤٧/٢

الأقوياء، ولا يحاسب العاجزين على ما يحاسب عليه القادرون، وهذا ما يشير إليه الشاطبي بقوله: "وجامع الشروط في التكليف القدرة على المكلف به، فالقادر على القيام بهذه الوظائف مكلف بها على الإطلاق والعموم، ومن لا يقدر على ذلك سقط التكليف عنه بإطلاق"(١).

وتبعًا لهذه القاعدة فإنَّ مراتب الناس في التكليف مختلفة باختلاف قدراتهم، فمن كان ذا سلطان كان تكليفه أعظم، ومن كان ذا علم كان تكليفه أكبر من العامي، وهكذا. ومن أدلة هذه السنّة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقد بيّن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تطبيق هذه السنة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢). يقول ابن بطال: "والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة"(٣).

وفي قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إلا أصابهم الله بعذاب" يشير إلى التلازم الحتمي بين الأفعال ونتائجها، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب مباشر للعقوبة الإلهية. وهو من سنن الله الجارية في الكون أن من ترك ما وجب عليه من النصيحة والأمر والنهي مع قدرته عليه، عاقبه الله تعالى قبل الآخرة، وهذا أمر مشاهد في الواقع، فالأمم التي تسكت عن المنكرات تنتشر فيها الفتن والمجاعات والحروب والأوبئة. والله لفت الأنظار في كتابه العزيز إلى عاقبة الأمم حين تفشي الفساد فيها وجعلها لنا عبرة فقال: {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾} [سورة آل عمران:١٣٧]. وقوله: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

(١) الشاطبي، الموافقات، ٤١١/٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٦٩/١ ح(٤٩)

(٣) النووي، شرح النووي على مسلم، ٣٩/٢

رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [سورة النحل:١١٢].

ومن الأدلة النبويّة قول عبد الله بن عمر: أقبل علينا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم»(١).

حيث يُبرز الحديث النبويّ التلازم بين الأفعال البشرية والنتائج التي تترتب عليها، ممّا يُعد تطبيقًا عمليًا لسُنّة الأسباب والمسببات. وقد بيّن الحديث أن الابتلاءات التي تصيب المجتمعات ليست عشوائية، بل هي نتائج مباشرة لأسباب محددة. من هذا المنطلق، فإن الالتزام بتعاليم الله وإصلاح السلوك البشري يُعدان شرطين أساسيين لتحقيق النعم الإلهية وتجنب العقوبات الدنيويّة، فعموم العقاب وحتميته مرتبط

(١) وقد ضعفه بعض العلماء في بعض طرقه، إلا أن له طرق وشواهد تقويه فقد روي في: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (١٨٦/٤)، ورواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في كتابه المستدرك في آخر كتاب الفتن مطولا من طريق عطاء بن أبي رباح به قال هذا حديث صحيح الإسناد هذا حديث صالح للعمل به، وقد أخرجه ابن ماجة، باب العقوبات، ١٠٥/٥ (٤٠١٩) وقيل حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، لضعف ابن أبي مالك واسمه خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الهمداني الدمشقي. وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" ٢٢٠/٣ و ٣٣٣/٨ -٣٣٤ من طريق خالد ابن يزيد، بهذا الإسناد. وأخرجه باختصار الطبراني (١٣٦١٩) من طريق خالد بن يزيد وله طريق آخر يتقوى به عند الحاكم ٥٤٠/٤، والطبراني في "مسند الشاميين" (١٥٥٨)، وفي "الأوسط" (٤٦٧١) من طريقين عن الهيثم بن حميد، عن أبي مُعَيدِ حفص بن غيلان، عن عطاء بن أبي رباح قال: كنت مع عبد الله بن عمر وهذا إسناد حسن رجاله ثقات إلا أن حفص بن غيلان ينزل عن رتبة الصحيح.

بكون الفساد غالب، ولا ناصح فيهم يقوم بواجب الإرشاد أو الأمر أو النهي، إذ مجرد النصيحة فيه نجاة للمصلحين من عموم العاقبة، وفي قصص الأنبياء مع أقوامهم مثال صريح على هذا، إذ كانت الخاتمة لكل دعوة أن ينجي الله الأنبياء ومن استجاب لدعوتهم ويعمَّ العقاب المخالفين.

وهنا يأتي سؤال جوهري، وهو هل يلزم للنجاة من عموم العقاب استجابة المدعوين؟ أو هل يلزم تغيّر المنكر لحصول النجاة؟ والإجابة على هذا السؤال هو أنَّ الدعوة، والأمر والنهي لا يستلزم منها الاستجابة بل الإعذار والإنذار، والقيام بواجب الإصلاح والتغيير ببذل الأسباب، وهذا كافٍ في النجاة من العقوبة والهلاك، وهو ما كان من أنبياء الله مع أقوامهم، والمصلحين من كل أمة، فهذا نبي الله شعيب ' يقول لقومه: { يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨} [سورة هود:٨٨]. فكان هذا محض النصيحة لهم (إِنۡ أُرِيدُ يعني) أي ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه إِلَّا الْإِصْلَاحَ يعني فيما بيني وبينكم (مَا اسْتَطَعْتُ) يعني ما استطعت إلا الإصلاح وهو الإبلاغ والإنذار فقط ولا أستطيع إجباركم على الطاعة لأن ذلك إلى الله فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء[١].

كما أن جهود الدعوة والإنكار قد تستغرق أعوامًا وأجيالاً من الصبر، وعدم استعجال النتائج والثمرات، وهنا يكون الامتحان والتمحيص، وحقيقة الاختبار.

وبعد الإشارة إلى السنن فيما يترتب على ترك الأمر والنهي من نتائج وعقوبات فإنا نلفت النظر إلى علاقة هذه السنن بالعقيدة الإسلامية من عدة نقاط:

الأولى: الإيمان بكمال قدرة الله تعالى وسلطانه، فهو الذي يعاقب المسيئين ويثيب المحسنين.

الثانية: الإيمان بكمال علمه سبحانه، فهو يعلم من يستحق العقوبة ومن

(١) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٤٩٩/٢

يستحق العفو.

الثالثة: الإيمان بالقضاء والقدر حيث ترتبط هذه السنن الإلهية ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالقضاء والقدر، فالله تعالى قضى وقدّر أن تكون هناك علاقة وثيقة بين أفعال العباد وما يصيبهم من خير أو شر، فالسنن الإلهية هي القوانين القدرية التي وضعها الله تعالى في هذا الكون، وهي جزء من قدره النافذ، وقضائه الماضي، فمن آمن بالقدر آمن بالسنن، ومن آمن بالسنن آمن بالقدر وأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ أن من سكت عن المنكر مع قدرته على تغييره استحق العقوبة، وهذا من القدر المكتوب، ومن سنن الله أن يبتلي عباده ببعض فيبتلى المؤمن بالكافر، والمحسن بالمسيء؛ ليميز الخبيث من الطيب، ويمتحن عباده، ويمحصهم بالصبر والرضا وإقامة الواجب الشرعي الذي افترضه عليهم(١).

ومن الآثار العقدية المهمة لفهم السنن الإلهيّة المستنبطة من الحديث إدراك التوازن الدقيق بين رحمة الله تعالى وعدله، فهو سبحانه يمهل ولا يهمل، ويعفو ويصفح، لكنه يعاقب المصرّين على ترك الواجبات.

وختاماً، فإن فهم السنن الإلهية المستنبطة من حديث المسؤولية الجماعية يمثل مدخلاً مهماً لفهم العلاقة الوثيقة بين العقيدة والسلوك، وبين الإيمان والعمل، وبين الفرد والمجتمع. ويؤكد على حقيقة أنَّ الإسلام دين شامل ومتكامل، يعنى بإصلاح الفرد والمجتمع على حد سواء، ويربط بين الدنيا والآخرة، وبين الروح والمادة، في منظومة متناسقة.

ذلك بأنَّ الربط بين السيرة النبويّة العطرة والسنن الإلهية يجعل رؤية المسلمين شاملة ومتكاملة تمكنهم من معالجة ما يعترض حياتهم في أبعادها الفردية المتعلقة بالفرد وبسلوكه إلى الله تعالى، والجماعية المتعلقة ببناء المجتمع والعمران البشري وفق

(١) وقد أشار ابن القيم إشارات ضافية في كتابه شفاء العليل في باب (استيفاء شبه النافعين للحكمة والتعليل وذكر الأجوبة عنها) حيث ذكر عدداً من سنن ابتلاء الله العباد بعضهم ببعض، والأنبياء بأقوامهم وحكمة ذلك وما يتعلق به من السنن الإلهية. ص ٢٠٦-٢٥٦

نسقية ونظام واستقامة يرسم لهم طريق الغد المشرق[١].

وفي ظل التحديات المعاصرة، تبرز الحاجة إلى تجديد مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطوير آلياته بما يتناسب مع طبيعة العصر ومتغيراته. وإنَّ فهم السنن الإلهية يوجب على المجتمع المسلم إنشاء مؤسسات وآليات للتكافل الاجتماعي والإصلاح المجتمعي، فالمسؤولية في مواجهة الانحرافات ليست فردية فقط، بل هي مسؤولية جماعية أيضاً، لا سيما مع انتشار صور جديدة من الانحرافات والمنكرات، وهذا يستدعي تطوير آليات جديدة للتصدي لها، منها إنشاء مؤسسات متخصصة في الإصلاح الاجتماعي، وتفعيل دور المجتمع في مواجهة هذه الانحرافات.

كما أن فهم العلاقة بين الأسباب والمسببات في سياق السنن الإلهية يمثل منطلقاً أساسياً لبناء منهجية معرفية متكاملة تجمع بين الإيمان بالغيب والتفاعل الإيجابي مع الواقع، وتوازن بين التوكل والأخذ بالأسباب، وتحقق التكامل بين العلم والإيمان.

وإن استعادة الوعي بمبدأ السببية في سياق السنن الإلهية يمثل ضرورة معرفية ومنطلقاً أساسياً لتحقيق النهضة المنشودة وفق مقتضيات الاستخلاف الإلهي. وهذا يتطلب جهوداً متكاملة من علماء العقيدة والفقه والتفسير والفلسفة الإسلامية والعلوم التجريبية، للإسهام في بناء نموذج معرفي إسلامي يستوعب المنجزات العلمية المعاصرة ضمن إطار الرؤية الإسلامية الشاملة.

(١) رشيد الكهوس، النظر السنني في السيرة النبوية: معالم ومنطلقات." المجلة الدولية أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات ٣١ (٢٠٢٤): ٨٥ -٩٨

الخاتمة والنتائج

بعد أن تناولت هذه الدِّراسة ما يتضمَّنه الخطاب التَّشريعيُّ في منظومة الأسباب من سننٍ إلهية، تنطلق من السِّياق وقرائن الأحوال؛ لتصل إلى تحقيق الغاية الكبرى من الخطاب الإلهيّ التَّشريعيّ وهو الهداية العامة والخاصة، وصلاح الدنيا والآخرة، وتمثلت هذه السنن في سنة التدافع، والابتلاء، والاستدراج، والتمكين، والتداول، وقد رصدت الدِّراسة جملة من النَّتائج، أبرزها ما يأتي:

أولًا: أكد البحث على أنّ السنّة النبوية نافذةً فريدةً على بيان منظومة الأسباب، التي تجلت في أسمى صورها من خلال هذه الأحاديث الموجزة ذات الدلالات العميقة.

ثانيًا: بيّن البحث أن دراسة سنة الأسباب من خلال الأحاديث النبوية تكتسب أهميّة بالغةً في فهم مقاصد الشريعة وأسرارها، إذ تعمل هذه الأمثال على تجسيد المفاهيم المجردة في صور محسوسة، ممّا يسهل استيعابها وترسيخها في النفوس.

ثالثاً: كشف البحث عن أنّ الإدراك الشامل للسنن الإلهية الواعية يساعد الأفراد والجماعات على تحسين سبل الحياة، وتسخير الإمكانيات للابتكار والتطور، اقتداءً بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي كان المعلم الأعظم لهذه السنن.

سادسًا: أبان البحث العلاقة بين سنن التدافع بين الحق والباطل وعمق الشريعة الإسلامية وشموليتها؛ فهي تقدم منهجًا متكاملاً للحياة، يوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، ويحقق السعادة والطمأنينة للفرد والمجتمع.

سابعًا: استظهر البحث أنّ السنن الإلهية تؤسس لعمليّة متوازنة بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، فبينما تتناول الأحاديث الأسباب الظاهرة من خلال حثها على العمل والاجتهاد، سلطت الضوء أيضًا على الأسباب الغيبية كالدعاء والتوكل؛ وهذا يُشكل توازنًا وترابطًا بين الإيمان بالقضاء والقدر، والأخذ بالأسباب.

التوصيات:

تبقى الحاجة قائمة لمزيد من الدراسات المعمقة في ربط الأحاديث النبويّة بالسنن

الإلهية، سواء في جانب الأمثال النبويّة، أوالقصص النبويّ، أو أحاديث الفتن وآخر الزمان، وكذلك الأحاديث التي ربطت الأسباب بمسبباتها، وذلك لاستخلاص المزيد من الدروس والعبر وبيان المنهج النبويّ الشامل لصلاح الفرد والمجتمع.

وصلَّى الله وبارك على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرًا.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، ت: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض

٣. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٤. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

٥. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٦. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي،**النبوات**، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٨. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، ت: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م

٩. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح البخاري**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي- محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: الأولى١٣٨٠ – ١٣٩٠هـ

١٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، رسائل ابن حزم الأندلسي الرد على الفيلسوف الكندي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،

١٩٨٣م.

١١. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م.

١٢. ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ت: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٣. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م

١٤. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير/تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر — تونس، د: ط، ١٩٨٤م.

١٥. ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

١٦. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م،

١٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

١٨. الأثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى/شرح سنن النسائي، دار آل بروم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ — ١٤٢٤هـ

١٩. أسماء حمودة، سنة الله في تقدير الأرزاق، أطروحة ماجستير قدمت لقسم أصول الدين بجامعة النجاح الوطنيّة بفلسطين- نابلس، ٢٠١٠م

٢٠. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٢١. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٢٢. أمحزون، محمد، السنن الاجتماعيّة في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول، دار طيبة، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٣. البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان الكناني الشافعي، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ت: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
٢٤. البوطي، محمد سعيد رمضان، من سنن الله في عباده، آفاق معرفة متجددة، د: ط، د: ت.
٢٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، ت: عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م
٢٦. الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، الطبعة الثانية، الناشر: مصطفى البابي الحلبي: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٢٧. التليدي، عبدالله، أسباب هلاك الأمم، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨م
٢٨. توم سوريل، ديكارت مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: محمد أحمد الروبي، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م.
٢٩. جاسم حسن العلوي، العالم بين العلم والفلسفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.
٣٠. جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب — القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م
٣١. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
٣٢. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
٣٣. الحفني عبدالحميد، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، د:ط
٣٤. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
٣٥. الخطيب، شريف الشيخ صالح أحمد، السُّنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى. (د. ت).
٣٦. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٣٧. رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، د:ط، ١٩٩٠م.
٣٨. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات ابن تيمية، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣
٣٩. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
٤٠. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٤١. زيدان، عبدالكريم،السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
٤٢. السرسخي، أبي سهل محمد بن أحمد بن السَّرَخْسِيّ الخزرجي الأنصاري، الكسب بشرح السرسخي، ت:سهيل زكار، دار حسان للنشر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٤٣. السيد نفادي، السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٦م.
٤٤. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٤٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة — بيروت، (د. ط) (د. ت).
٤٦. الصاحب ابن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، المحيط في اللغة، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
٤٧. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين — القاهرة، د: ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م
٤٨. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، مسند الشاميين، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
٤٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
٥٠. عبد الباقي، محمد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.
٥١. عبيد، حسنة عمر، حتى لا تكون فتنة، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م.

٥٢. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د: ط، د:ت.

٥٣. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، د:ط، د: ت.

٥٤. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٥٥. الفتوحي، ابن النجار تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، شرح الكوكب المنير = المختبر المبتكر شرح المختصر، ت: محمد الزحيلي - نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٥٦. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. (د. ط)، (د. ت).

٥٧. الكهوس رشيد، النظر السنني في السيرة النبوية: معالم ومنطلقات." المجلة الدولية أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات ٣١، ٢٠٢٤م.

٥٨. الكهوس رشيد، السُّنن الإلهية في السيرة النبوية، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٧م.

٥٩. محمود قاسم، المنطق الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، د:ط.

٦٠. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

٦١. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ

٦٢. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

٦٣. هوبز توماس، اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانا حبيب حرب/بشرى صعب، دار الفارابي، الطبعة الأولى:١٤٣٢هـ_٢٠١١م.

qayimat almasadir walmarajie

1. abn al'athir, majd aldiyn 'abu alsaeadat almubarak bin muhamad bin muhamad bin muhamad aibn eabd alkarim alshaybani aljazari, alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, tahqiqu: tahir 'ahmad alzaawi -mahmud muhamad altanahi, almaktabat aleilmiat -birut, 1399h -1979m.

2. abin alqiami, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawziati, madarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaeinu, almuhaqaqi: muhamad almuetasim biallah albaghdadii, dar alkitaab alearabii - bayrut, altabeat althaalithata, 1416 h -1996m.

3. abn alqimi, muhamad bin 'abi bakr, 'iielam almuqiein ean rabi alealamina, tahqiqu: tah eabd alrawuwf saedu. dar aljili, (1973).

4. abn batal, 'abu alhasan ealii bin khalaf bin eabd almalk, sharah sahih albukhari, tahqiqu: 'abu tamim yasir bin 'iibrahima, maktabat alrushdi, alsueudiatu-alriyadi, altabeat althaaniatu, 1423hi.

5. abin taymiatu, aljawab alsahih liman badal din almasihi, tahqiqu: eali bin hasina-eabd aleaziz bin 'iibrahim -hamdan bin muhamad, dar aleasimati, alsueudiati, altabeat althaaniatu, 1419hi.

6. abin taymiatu, alfurqan bayn alhaqi walbatila, tahqiqu: khalil almis, bidun tabeati, dar alqalam bayrut.

7. abin taymiatu, alnubawaati, tahqiqu: eabd aleaziz bin salih altuwyan, altabeat al'uwlaa, 1420hi-2000ma, maktabat 'adwa' alsalafi, alriyad.

8. abin taymiatu, jamie alrasayil, tahqiqu: muhamad rashad salima, dar aleata' - alriyad, altabeat al'uwlaa 1422h - 2001m.

9. abin hazma, 'abu muhamad eali bin 'ahmad bin saeid bin hazm al'andalasi alqurtubiu alzaahiri, rasayil abn hazm al'andalusi fi alradi ealaa alkandi, tahqiqu: 'iihsan eabaas, almuasasat alearabiat lildirasat walnashri, altabeat al'uwlaa 1983.

10. abin rajaba, zayn aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin shihab aldiyn albaghdadii thuma aldimashqi, jamie aleulum walhukm fi sharh khamsin hadithan min jawamie alkalmu, almuhaqiqi: shueayb al'arnawuwta, 'iibrahim bajis, muasasat alrisalat - bayrut, altabeata: alsaabieati, 1417h -1997m.

11. abin rajaba, zayn aldiyn eabd alrahman bin 'ahmad bin rajab bin alhasan, alsalamy, albaghdadi, thuma aldimashqi, alhanbali, fatah albari sharh sahih albukhari, maktabat alghuraba' al'athariat - almadinat alnabawiati, maktab tahqiq dar alharamayn -alqahirati, altabeatu: al'uwlaa, 1417h -1996m.

12. abn sayidat, 'abu alhasan ealii bin 'iismaeil bin sayidih almarsi, almuhakam walmuhit al'aezami, almuhaqaqi: eabd alhamid hindawi, dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1421h - 2000m.

13. abin faris, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwinii alraazi, 'abu alhusayni, muejam maqayis allughati, almuhaqiqa: eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri, 1399h -1979m.

14. abin faris, muejam maqayis allughati. tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun. dar alfikri.

15. abn qutaybat, 'abu muhamad eabd allh bin muslim bin qutaybat aldiynuri, gharayb alhaditha, almuhaqiqi: da. eabd allh aljaburi, matbaeat aleani - baghdad, altabeat al'uwlaa 1397hi.

16. abn qiam aljawziati, shifa' alealil fi masayil alqada' walhikmat waltaelili, tahqiqu: hasan eabd allah, bidun tabeatin, maktabat dar altarathi, alqahirati.

17. abin kathir, 'abu alfida' 'iismaeil, tafsir alquran aleazimi, ta: mahmud hasan, birut: dar alfikri, 1414hi.

18. abn majat, sunan abn majah, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, muhamad kamil, altabeat al'uwlaa, 1430 2009ma, dar alrisalat alealamiati.

19. abin manzuri, muhamad bin makram bin ealaa, 'abu alfadali, jamal aldiyn, lisan alearabi, dar sadir - bayrut, altabeatu: althaalithat -1414hi.

20. 'abi dawwud alsijistani, sunan 'abi dawuud, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt wakhrun, dar alrisalat aleilmiati-dimashqa, suria, altabeat al'uwlaa 143h -0 2009m.

21. al'azhari, muhamad bin 'ahmad bin alhurawi, 'abu mansur, tahdhib allughati, almuhaqaqa: muhamad eawad mureibi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 2001m.

22. al'asbhani, 'abu naeim 'ahmad bin eabd allah, hilyat al'awlia' watabaqat al'asfia'i, matbaeat alsaeadat - masr,1394hi -1974m.

23. al'albani, muhamad nasir aldiyn, daeif aljamie alsaghir (wziadatihi: alfath alkabira), almaktab al'iislamii.

24. alalusi, 'abu alfadl shihab aldiyn alsayid mahmud albaghdadi, ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, dabtuh wasahhaha: eali eabd albari eatiat, dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1415 h -1994m.

25. 'iiad eabd alhamid numari, mafhum alzuhd watahqiq alwujud al'iinsanii, majalat dirasat aleulum al'iinsaniat waliajtimaeiati, 2019m.

26. albukhari, 'abu eabd allh muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughayrat aljaefii albukharii, sahih albukharii, dar altaasil - alqahiratu, altabeatu: al'uwlaa, 1433hi -2012mi.

27. albihaqi, 'ahmad bin alhusayn bin eali bin musaa alkhusrawjirdy alkhirasani, 'abu bakr, alzuhd alkabira, tahqiqu: eamir 'ahmad haydar, muasasat alkutub althaqafiat - bayrut altabeata: althaalithata, 1996.

28. altirmidhi, 'abu eisaa muhamad altirmadhi, sunan altirmidhi, tahqiqu: 'ahmad shakiri, muhamad fuaad eabd albaqi, 'iibrahim eatwat, altabeat althaaniatu, alnaashir: mustafaa albabi alhalbi: 1397h-1977m.

29. altturibishti, fadl allah bin hasan bin husayn bin yusif 'abu eabd allahi, shihab aldiyn, almuyasar fi sharh masabih alsunati, almuhaqaqi: da. eabd alhamid handawi, maktabat nizar mustafaa albazi, altabeata: althaaniati, 1429h -2008hi.

30. aljirjani, eali bin muhamad bin ealiin alzayn alsharifi, altaerifati, dar alkutub aleilmiat bayrut -lubnan, altabeatu: al'uwlaa 1403h -1983m.

31. alhimyraa, nashwan bin saeid alyamani, shams aleulum wadawa' kalam alearab min alklumu, tahqiqu: husayn bin eabd allah aleumari -mutahar bin eali al'iiryanii -d yusif muhamad eabd allah, dar alfikr almueasir (bayrut -lubnanu), dar alfikr (dimashq - suriata), altabeatu: al'uwlaa, 1420h -1999m.

32. alkhalil, 'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamrw

bin tamim alfarahidi, aleaynu, almuhaqaqa: d mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, dar wamaktabat alhilal.

33. alraazi, tafsir alfakhr alraazii almushtahar bialtafsir alkabir wamafatih alghib, altabeat al'uwlaa, 1401h - 1981ma, dar alfikri, bayrut- lubnan.

34. rshid kuhusi, alsunan al'iilahiat fi alsiyrat alnabawiati, altabeat al'uwlaa, 2010mi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.

35. rifaeat, muhamad. "bayn alsunat alnabawiat waleilmi: aldiqat aleilmiat fi al'amthal alnabawiati. "al'iiejaz aleilmii e 30 (2008), mustarjie min 257315.

36. alzamakhshari, 'abu alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah, 'asas albalaghati, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, altabeatu: al'uwlaa, 1419h -1998m.

37. alzamakhshari, mahmud bin eumar bin 'ahmad alzamakhashiri, alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawilu, dar alrayaan lilturath bialqahirat -dar alkitaab alearabii bibayruta, altabeati: althaalithat 1407 h -1987m.

38. alsiuti, jalal aldiyn. al'iitqan fi eulum alqurani, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim. alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 2004m.

39. shrif alkhatibi, alsunan al'iilahiat fi alhayat al'iinsaniati, wa'athar al'iiman biha fi aleaqidat walsuluki, altabeat al'uwlaa, 1425hi- 2004ma, aldaar aleuthmaniatu, eaman, maktabat alrushdi, alriyad.

40. altyby, sharh altaybi ealaa mishkaat almasabih almusamaa bi (alkashif ean haqayiq alsinun), maktabat nizar mustafaa albaz makat almukaramat - alrayad, altabeata: al'uwlaa, 1417h -1997m.

41. eabd alrahman almaydaniu, albalaghat alearabiatu, altabeat al'uwlaa, 1416hi-1996mi, dar alqalami, dimashqa, aldaar alshaamiatu, bayrut.

42. alghazali, 'abu hamid muhamad bin muhamad. (da.t). 'iihya' eulum aldiyn. dar almaerifati, bayrut.

43. fyad, muhamad jabir. al'amthal fi alhadith alnabawii alsharifi, almaehad alealamii lilfikr al'iislamii, 2005m.

44. alfiumi, 'ahmad bin muhamad bin eali alfiuwmi thuma alhamawi, 'abu aleabaasi, almisbah almunir fi ghurayb alsharh alkabira, alnaashiru: almaktabat aleilmiat - bayrut.

45. alqurtubi, 'abueabd allah, muhamad bin 'ahmad al'ansari, aljamie li'ahkam alqurani, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat - alqahiratu, altabeat althaaniatu, 1384 h -1964m.

46. almawardi, 'abu alhasan ealiin bin muhamad, 'adab aldunya waldiyn, dar maktabat alhayati.

47. mislma, 'abu alhusayn muslim bin alhajaaj alqushayrii alniysaburi, sahih muslmi, almuhaqaqa: muhamad fuad eabd albaqi, matbaeat eisaa albabi alhalabii washarakahi, alqahirata, 1374h - 1955m.

48. almazhari, muhamad thana' allahi, altafsir almazhari, almuhaqiqu: ghulam nabii altuwnisi, maktabat alrushdiat - albakistanu, altabeatu: 1412hi.

49. musaa shahin lashin, fatah almuneim sharh sahih muslmin, dar alshuruq altabeat al'uwlaa 14hi 2002m.

50. alnawawi, 'abu zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf, alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaju, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeatu: althaaniatu, 1392h.

51. alharawi, 'abu eubayd 'ahmad bin muhamad, algharibin fi alquran walhadithi, tahqiqu: 'ahmad farid almazidi, alnaashir: maktabat nizar mustafaa albaz -almamlakat alearabiat alsaeudiata, altabeata: al'uwlaa, 1419 h -1999 m

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع الصفحة

مقدمة ٥٥٥
المبحث الأول: معنى السنن لغة واصطلاحًا ٥٥٧
المبحث الثاني: معنى الأسباب لغة واصطلاحا ٥٦٠
المبحث الثالث: أهمية دراسة الأسباب في المنظومة السننيّة ٥٦٤
المبحث الرابع: نماذج تطبيقية للسببية في سياق السنن الإلهية ٥٦٦
الخاتمة والنتائج ٥٨٤
قائمة المصادر والمراجع ٥٨٦
فهرس الموضوعات ٥٩٦